ما أحوج الإنسان

الخمس والخمسون من أعوامي ... قد أمسكت آثارُها بزمامي
أنا في انتظار الموت أرسم صورة ... من غير ما ورقٍ ولا أقلامِ
قلقاً أعيش ممزَّقاً في عالمٍ ... مُثْقَلٍ بالبؤس والإتخامِ
متراكبِ الأعباء، مرعوبِ الرؤى ... متزايدِ الإعدادِ للإجرامِ
الرعب والإذلال يسكنُ أهلَه ... وغرائبُ الآفاتِ، والأورامِ
وُئدت به قيمُ السماءِ جهارةً ... والوائدون لهم أعزُّ مقامِ
خلفي وقدّامي، ومن فوقي ومن ... تحتي، وعن جنْبيَّ ألفُ لجامِ
في كل خطوٍ كم أعاني هاجساً ... ولكم أطيل السمع للأوهامِ!
أحيا بنصف الدرب يعرض خاطري ... أمسي، فأنسى ما أراه أمامي
فأظل مشدوداً لِما مني مضى ... متناسياً ما كان من إيلامي
وهنت عظامي من متاعب ما مضى ... أترى ستحملني الغداةَ عظامي!
ما مر من عمري فليس بعائدٍ ... وغدي أراه ملوّحاً بحِمامي
أحيا بساحات تجاذبني قوى ... منها بصدري ألفُ جرحٍ دامِ
لم تُبق لي عزماً، وكنت بها فتى ... شهدت بكل ملمةٍ إقدامي
وأرابها عزمي فجمّعت القوى ... لتزيد عامدةً فلول حسامي
أنوي المسير إلى مَرامي نيّتي ... عجِلاً فيسبق نيّتي إحجامي
لم ألقَ قلبي يستجيب كعهده ... متوثباً يصبو لكلِّ غرامِ
كلا ولا سمعي، ولا بصري، ولا ... قدمي كسابق عهدها خدّامي

والقـــول أخشـــاه المديـــحَ يُذلنـــي ... بـــين الأنـــام فـــلا أطيـــق كلامـــي
وأشـــدُّ مـــا أخشـــاه مـــن قولـــي إذا ... أُبـــدي شـــكاتي أن أَذِلَّ مُقـــامي
أمشـــي بـــلا خطـــوٍ، وأهـــرب قـــاعداً ... وتشـــولني، وتحطنـــي أحلامـــي
وبـــلا جنـــاحٍ كـــم صعـــدتُ محلِّقـــاً ... لأرى بـــأني مـــا برحـــتُ مَقـــامي
أهـــوى فـــلا أقـــوى، وأعشـــق صامتـــاً ... وأدان لكـــــن دونمـــــا آثـــــامِ
دنيـــاي أعيـــاني تخـــاصمُ أهلهـــا ... وأنـــا الـــذي مـــا اعتـــدتُ أيَّ خصـــامِ
مـــا كنـــت يومـــاً يائســـاً، أو خائفـــاً ... كـــــلاّ ولا برمـــــاً مـــــن الآلامِ
أشـــتد مـــا اشـــتدت خطوبـــي قـــوّةً ... فيُريعهـــــا إصـــــراريَ المتنـــــامي
فلكـــم أرَيْـــتُ الحادثـــات تصـــبّري ... هيهـــات أن فكّـــرت باستســـلامِ!
جالدتهـــا ورعيـــتُ حـــقَّ وفودهـــا ... حتـــى انثنـــت ومضـــت بكـــل ســـلامِ
لـــم أُحْـــنِ يومـــاً في النوائـــب قـــامتي ... فكـــأنني علـــمٌ مـــن الأعـــلامِ
ولكـــم رحمـــتُ ألـــدَّ مـــن قـــد كـــاد لـــي ... وغفـــرتُ مـــا عـــانيتُ مـــن أخصـــامي!
فُطِـــرتْ علـــى حـــب المكـــارم مهجتـــي ... ويحـــدّ خـــوفُ الفقـــر مـــن إكرامـــي
فـــأرى غـــرور العيـــش يُضعـــف همتـــي ... وتشـــلُّ عزمـــي رهبـــةُ الحكـــامِ
دنيـــاي مـــا وســـعت رجـــاءاتي لهـــا ... ويعيقهـــا طغيـــان ألـــف نظـــامِ
وأفـــر ممـــا أرتجيـــه مخافـــةً ... ممـــن أحلّـــوا فيـــه كـــل حـــرامِ
فـــأقول مـــا أرجـــوه كـــان تخيّـــلاً ... لا تحرمونـــي ذكـــر حلـــو منـــامي
وأكـــب أرســـم صـــورة المـــوت الـــذي ... أخشـــــى بـــــلا ورق ولا أقـــــلامِ
فـــأحس أنفاســـي ألـــدَّ مـــن العـــدى ... وجميـــع مـــا حولـــي يـــرى إعدامـــي

❖❖❖

الخمس والخمسون من أعوامي ... هدمت كياني؟ أم غَدَتْ أوهامي؟
لا، لستُ أشكو منك يا أعوامي ... أبداً.. فأنت الحب يا أعوامي
كل الذي عانيت رهبةُ طغمةٍ ... لم تبقِ في الدنيا سوى الإظلام
أوَما تحكّم في مصائر عالمي ... من فيه قد دأبوا على الإجرام!
سلبوا الأجنة حقها في ساعة ... للأمهات تعيشها بوئام
وعلى انبلاج الروح كم سداً بنوْا ... فإذا بنور العصر محضُ ظلام
وإذا وعود القوم في تحضيرنا ... كذبٌ ألفناه من الظُلاّم
فحمدتُ ربي أن جسميَ سالمٌ ... ناجٍ من التقطيع من أعوام

❖❖❖

ورجعتُ للإسلام أنشد راحتي ... في ظل ما لله من أحكام
وأقمت في قلبي عدالة شرعه ... فرأيت كل السعد في الإسلام
لا يأس في الإسلام، لا خوفٌ ولا ... ذلٌ، ولا من عزلةٍ وخصام
المؤمنون أحبة لا فرق في ... وطن، ولا جنس، ولا أرحام
يسعى الجميع على الجميع كأنهم ... جسدٌ على بعد المدى المترامي
الحب والآمال والسعي الذي ... فيه التنافس للغد البسام
كلٌ بإيثارٍ يعامل غيره ... ويزيد في الإحسانِ والإنعام
فيه التسامح والتآخي فطرة ... كلٌ بها عن مطمح متسامي
يحيون فيها آمنين، وحقهم ... صانوه بالتقوى وبالصمصام
فمضيت منطلقاً أردد عالياً ... ما أحوج الإنسان للإسلام!